

مركز الأمير عبد المحسن بن جلوي للبحوث والدراسات الإسلامية

الفتاة المسلمة والمستقبل

أ.د. سارة بنت عبد المحسن بن جلوي آل سعود
الرئيس العام لمركز الأمير عبد المحسن بن جلوي
للبحوث والدراسات الإسلامية

سلسلة المحاضرات
(٢)



الفتاة المسلمة والمستقبل

أ.د. سارة بنت عبد المحسن بن جلوي آل سعود

الرئيس العام لمركز الأمير عبد المحسن بن جلوي

للبحوث و الدراسات الإسلامية

- الفتاة المسلمة ودورها في بناء المستقبل.
- الفتاة المسلمة في الفكر والخطاب الإعلامي المعاصر.
- الفتاة السعودية أمام التحديات المستقبلية.

سلسلة المحاضرات

٢

ح مركز الأمير عبدالمحسن بن جلوي للبحوث والدراسات الإسلامية،١٤٢٧هـ .
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

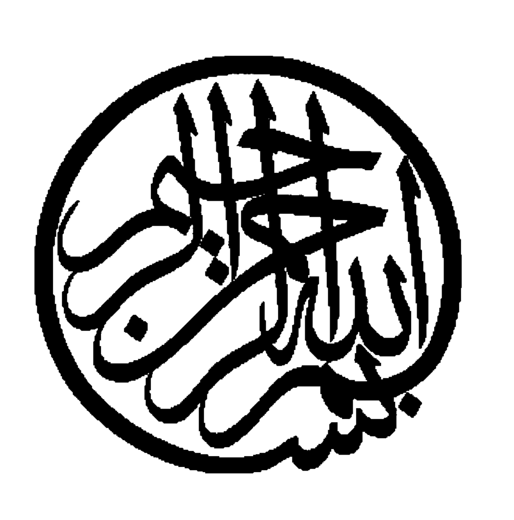
آل سعود ، سارة بنت عبد المحسن بن جلوي
الفتاة المسلمة والمستقبل / سارة بنت عبد المحسن بن جلوي آل سعود
الشارقة ، ١٤٢٧ هـ

٥٣ ص ، ٢٤ سم - (سلسلة المحاضرات ، ٢)
ردمك: ٣-٦٢٩-٥٦-٩٩٦٠

١- المرأة في الإسلام ٢- الأسرة في الإسلام أ. العنوان ب. السلسلة
ديوي ٢١٩,١ ١٤٢٧/٥٦٧٦

الشارقة - ص.ب ٤١١١٦ ،الإمارات العربية المتحدة
هاتف: ٥٧٧٦٠١٨(٩٧١٦)
فاكس: ٥٧٧٦٥٥٧(٩٧١٦)
www. Jalawicenter.com
الطبعة الأولى
١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

رقم الإيداع: ١٤٢٧/٥٦٧٦
ردمك: ٣-٦٢٩-٥٦-٩٩٦٠


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يقول الله عز وجل: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (إبراهيم الآيتان: ٢٤-٢٥).

ويضرب الله هذا المثل للناس للذكرى واستيعاب الدرس في كل جانب من جوانب الحياة.. ذلك أن الذي له أصول راسخة هو دوما المؤهل ليكون له الفرع في السماء، فلا يتمكن من الرؤية في الآفاق إلا الراسخ الجذور

ولهذا ظل المتأهب والباني للمستقبل هو ذاك المتمكن من فتح أوراش البناء بإحكام وتفان في الحاضر، والقادر على تزويدها بما تحتاجه من أدوات وآليات وتصاميم مدروسة بعناية وإتقان، وفق منهج صارم وهدف واضح ومقصد جلي.

والأصل الثابت في المنظور الحضاري للمجتمع سلف صالح، وعلم نافع، وشرعة سمحة، ومنهاج سليم، وإلا فالمستقبل لن يتجاوز مهما تفنن أفراد المجتمع في العمران والبنيان تلك الصورة التي تشير إليها الآية الكريمة (وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ)(من الآية ٤٥)، أي أفول متصاعد وزوال محتوم

وأصل الأصل الثابت، وقاعدة الفرع الصاعد، أسر متماسكة تعتز بسلفها الصالح، وتاريخها الحافل؛ تنهل من العلم النافع، وتعض بالنواجد على الشرعة السمحة والمنهاج القويم، فالأسرة الصالحة هي النواة الصلبة للمجتمع السليم، والبذرة المباركة لتلك الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء

ومن ثم كان إعداد الفتى والفتاة في المجتمع التواق للمستقبل المشرق هدفا ساميا تجمع كافة الطاقات المادية والبشرية على العمل لبلوغه، ويسخر كل ما هو متاح من الإمكانات والوسائل لتحصيله، لإدراك أفراد ذلك المجتمع الواعي أن النماء والبقاء هو في إخراج وإعداد جيل صالح واع بمسؤولياته، مدرك لواقعه ودوره فيه، طموح لمستقبل يجسد أماني وطموحات المجتمع، قادر على تحويلها إلى برامج عملية ومشاريع قوية تمكن من الحفاظ على رسوخ الأصل وثباته، وتدفع الفرع إلى مزيد من النماء والعلو في السماء.

ولعل العناية بالفتاة في مواجهة تحديات الواقع المعاصر قد أضحت رسالة جسيمة وخطيرة لاهتزاز عديد من الأركان التي شيد فوقها صرح هوية الأمة، ولشروخ بدت تتسع في أسسها الثقافية والفكرية، والتي تسبب فيها ضعف نهلها من المعين الصافي والمنهل العذب الذي هو الكتاب والسنة، وما يستلزمه الورد منهما من منهج وحكمة وميزان.

ويقدم هذا الكتاب مساهمة في توضيح معالم مشروع تلك العناية التي ينبغي أن تحتل في برامج عملنا الأولوية، حيث ظلت الكاتبة تنذر بالخطر الداهم الذي يهدد الفتاة المسلمة في هويتها وفكرها وثقافتها، وتقدم النصائح والتوصيات للمبادرة بالعمل حماية للمجتمع والأسرة من تقلبات وهزات ثقافية واجتماعية موضحة الأسباب الداخلية والخارجية، وعارضة معالم مشروع معالجة وإصلاح، في العديد من الملتقيات الفكرية والثقافية والندوات والمؤتمرات العلمية.

فالكتاب يضم بين دفتيه ثلاث محاضرات مختارة عرضت ضمن فعاليات ملتقيات فكرية وثقافية تعنى بالفتاة المسلمة، يجمع بينها، رغم الفارق الزمني وخصوصيات الملتقيات، الإسهام في تحديد ملامح شخصية الفتاة المسلمة الصانعة

للغد، والمشاركة في توضيح سبل الإعداد لذلك الغد، وبيان خطوات الدور المرتقب من تلك الفتاة قصد تفعيل دورها في برامج البناء والنماء لبلوغ المستقبل المنشود، عبر حسن استجابتها لضرورات وشروط اقتحام العقبات ومواجهة التحديات، وإتقان مقاومتها للجوانب السلبية لتيارات العولمة الثقافية والفكرية والإيديولوجية الزاحفة.

فالمبحث الأول محاضرة ألقيت بكلية البنات ـ جامعة الشارقة يوم السبت ١٣ ذو القعدة ١٤٢٠هـ ،الموافق ١٩ فبراير ٢٠٠٠م، حيث تم التركيز فيه على إبراز دور الفتاة المسلمة في بناء المستقبل، والنهوض بالمجتمع نحو الغد المشرق، والبدء بتحديد ملامح شخصية الفتاة المسلمة المؤهلة لبناء المجتمع وإعادة المجد للأمة، وأنه يستحيل فتح ورش بناء الغد على قواعد ثابتة ومنهج سليم دون علم، سواء منه الشرعي أو التخصصي، ودون وعي صحيح لمقاصد الدين، ووعي شمولي بالواقع وآلياته ومواطن القصور فيه، ودون إيمان قوي بإمكانية النهوض به والرقي به إلى آفاق مشرقة، وثقة بالنفس وقدراتها الخلاقة، مع الإدراك لحدودها وضرورة تمرينها على الثبات والصبر والنفور من القنوط والإحباط، ودون إبعاد للغلو أو التطرف أو اللامبالاة.

ولم يكن الغرض من المحاضرة التحرير الأكاديمي لكافة ملامح شخصية الفتاة المسلمة، لأن غايته الأساسية كانت تحريك الإنسان لا دراسة الإنسان، وتحفيز الهمم، وشحذ الجهود، وغرس الثقة في النفوس، وتعميم الوعي الجماعي بإمكانية صناعة الغد بسلاح العلم، وبطاقة الإيمان والالتزام بثوابت الإسلام.

ولهذا عمدت المحاضرة في نهايتها إلى بسط المعالم الكبرى لبرنامج عمل عبر خطوات عملية رئيسة، منها ما هو فردي، ومنها ما هو جماعي، وما هو مؤسساتي تنوء به مؤسسات الدولة الرسمية والمدنية، لتيسير سبل إنجاز

الفتاة لدورها، وفسح المجال لها للمشاركة في بناء المستقبل الذي لا سبيل لغرس زرعه حالا، ولا لحصاد ثمراته غدا، إلا بحسن عطائها ومشاركتها.

أما المبحث الثاني فيتناول موضوع الفتاة المسلمة في الفكر والخطاب الإعلامي المعاصر عبر دراسة خطابين محركين لتلك المرأة ودافعين لها، إما جهة التفعيل أو جهة التعطيل، وهما: خطاب الفكر وخطاب الإعلام. وهو عبارة عن محاضرة ألقيت بمناسبة ملتقى الشارقة العالمي للفتيات المسلمات في دورته الثالثة، في الفترة من ٣٠ محرم إلى ٧ صفر ١٤٢٣هـ، الموافق ١٣ - ٢٠ أبريل ٢٠٠٢م.

وينطلق البحث من أنه لا يوجد في الساحة خطاب غير منحاز لفكر وعقيدة، وغير مربوط بمقاصد وأهداف، وغير خادم لمشروع بناء أو هدم، أيا كان الخطاب، ومهما تعددت ألوان الخطاب وأشكاله، وتنوعت شعاراته وأبواقه ومنابره.

ويحتل موضوع المرأة مساحة كبرى في كل من خطاب الفكر وخطاب الإعلام نظرا لخطورة دوره في تحديد وتفعيل عملية التبديل الثقافي والتغيير الاجتماعي، وكونه مفتاحا رئيسيا لكل مشروع يريد التحديث والانتقال بالمجتمع من وضع إلى وضع آخر مغاير، إذ لا سيبل لبلوغ ذلك دون مشاركة الفتاة المسلمة، إما بانخراطها في العمل حين الاقتناع بجدوى الخطاب، أو الغفلة عن مواجهة تياراته حين غياب وعيها بخطورة أبعاده.

ولهذا كثر الحديث اليوم عن المرأة، وأوضاع المرأة، وقضايا المرأة، ودور المرأة في التنمية، ومشاركة المرأة في بناء المجتمع، مع انشغال معظم ألوان خطاب الفكر والإعلام المصاحب له بقضايا جزئية عبر تناولات يفتقر معظمها إلى العلم والموضوعية.

ومن ثم فقد ركزت المحاضرة في تحليلها لخطاب الفكر والإعلام على وقفات مع أهم أنواع ذلك الخطاب، أولها الخطاب التقدمي، سواء في شكله المغالي أو شكله المعتدل، ثانيها الخطاب الإسلامي الذي أبى أكثر رجاله إلا أن تتسم طروحاته بردود الفعل الوقتية ومحاولات الدفاع عبر العقلية الذرائعية، وثالثها الخطاب العلمي الذي يتعامل مع المجتمع وكأن جل أفراده علماء متخصصون ومفكرون وباحثون، حيث ظل الخطاب حبيس فتاوى فقهية واجتهادات للسلف دون إنزال لها على الواقع المعاصر.

وتهدف المحاضرة عبر التركيز على تلك الألوان من الخطاب إلى الإسهام في الدعوة لتجنب أفكار الخطابات التي تُخرج موضوع المرأة عن إطاره الطبيعي، فتبرر ضرورة ربطه بمساقات ثقافية وتوجهات عقدية غريبة عن تاريخه وتربة جذوره، أو تدافع بانفعال عن سلامته وعدم حاجته إلى إصلاح فوري وشمولي بحجة الالتزام بمنهج السلف، وهي أفكار تشوش على الخطاب السليم والصادق في مشروع إصلاحه لأوضاع المرأة المسلمة، ونضج أفكاره الموجهة أساسا للعنصر الأهم في تحقيق وإنجاز ذلك المشروع: الفتاة المسلمة الواعية.

أما المبحث الثالث فهو المادة الدسمة في الكتاب، وهو عبارة عن محاضرة ألقيت ضمن فعاليات مهرجان المدينة المنورة الثالث المنعقد في الفترة من ٢٨ صفر إلى ١٤ ربيع الثاني ١٤٢١هـ، الموافق ١يونيو إلى ١٥يوليو ٢٠٠٠م، حيث تتناول بالتحليل واقع المجتمع السعودي نموذجا، والفتاة السعودية على الخصوص، فيقدم في مدخله نظرة عامة حول الواقع الفكري السائد وسط الفئات الشابة في ذلك المجتمع، بكافة أبعاده الاجتماعية والثقافية والسياسية، ليستخلص أن المد العولمي قد أدى بزخم تياراته الجارفة إلى إرباك فكري واختلال ثقافي لدى الكثير من أفراد المجتمع بفئاته العمرية المختلفة، ونتج عن كل ذلك إفراط لدى البعض تجلى في القبول المطلق بالوارد والمتولد

من الأفكار والرؤى والتوجهات، وتفريط لدى البعض الآخر تجلى في الرفض المطلق لكل تفاعل أو تعامل مع تلك الأفكار والرؤى والتوجهات، وضبابية في الرؤية تولدت عنها هزائم نفسية أسلمت إلى لا مبالاة حالت دون الوعي بالمخاطر والعقبات، وأضعفت جوانب حيوية من الوعي الجماعي بالأهداف المجتمعية المستقبلية.

فحين غابت الموضوعية، وغيبت المراجعة العقلية، وجد التطرف الفكري سبيله إلى الأذهان، وسهل بعد ذلك مبارزة المجتمع بالعداء، بعد أن فقد التوازن واهتزت القناعات وأسس الإيمان بالمبادئ والقيم بفعل الاختلال والاضطراب الذي يعيشه الواقع الفكري والاجتماعي والثقافي.

وضاعف من الأزمة قصور العديد من مؤسسات المجتمع الثقافية والتعليمية في تنمية الوعي بما يقتضيه الواقع من مواقف، وما تمليه غايات المجتمع من توجهات عبر تنمية الإحساس بالهوية، وفك التناقض والاضطراب في المجالات السياسية والفكرية من حرية وتعددية وتعامل مع الآخر.

ولهذا تناولت المحاضرة التحديات الخارجية متمثلة في الاختراق الثقافي، والتبديل الثقافي، وإعادة تشكيل البنية الفكرية والقيمية، لينتقل إلى دراسة آلياتها : العولمة، والإعلام، والهيئات الدولية.

كما تناولت التحديات الداخلية والمتمثلة أساسا في تحكم العادات والأعراف، والتعليم، والتغييب العقلي والنفسي عن معرفة حقائق الأمور، لينتهي بعرض لأبرز الخطوات التي يلزم الفتاة السعودية أن تخطوها لمواجهة تلك التحديات، مركزا أساسا على التحصين الثقافي، والحصانة الشرعية، والحصانة العلمية، والحصانة المعرفية.

ويقدم الكتاب عبر مباحثه الثلاثة معالجة عملية للنهوض بواقع الفتاة المسلمة، وخاصة في المجتمعات الخليجية، بدءا بالوعي بالخطر الداهم الذي يهدد تلك الفتاة في هويتها وفكرها وثقافتها، وانتهاء بتحصين عملي يحسن التفاعل مع الواقع والمحيط، وإدراك يعتمد على العلم والمعرفة لبناء مستقبل يجسد أماني وطموحات المجتمع، قادر على تحويلها إلى برامج عملية ومشاريع قوية تمكن كما سبق القول من الحفاظ على رسوخ الأصل وثباته، وتدفع الفرع إلى مزيد من النماء والعلو في السماء.

قسم البحوث والدراسات

الفصل الأول

الفتاة المسلمة ودورها في بناء المستقبل

محاضرة بعنوان (الفتاة المسلمة ودورها في بناء المستقبل)

ألقيت بكلية البنات - جامعة الشارقة

وذلك في يوم السبت ١٣ / ١١ / ١٤٢٠هـ الموافق ١٩ فبراير ٢٠٠٠م

الحاضر غرس الماضي، والمستقبل جني الحاضر

فبناء المستقبل لا يأتي من فراغ وإنما هو محتاج إلى أدوات وآليات، ومنهاج، وهدف وغاية.. وقبل ذلك كله هو محتاج إلى إنسان يعي حقيقة وجوده، ويؤمن بقدرته على الإسهام الفعلي في بناء مستقبل حقيقي فعال

وعملية البناء لا يشترط فيها القيام بدور فردي كبير، ذي تأثير واضح فهي محصلة جهود مجتمعة، وتفاعلات حقيقية مع حياة المجتمع وواقعه، فكل إنسان مهما صغر دوره أو خفي، قويت إسهاماته أو ضعفت، فله تأثيره الحقيقي في بناء المستقبل أو هدمه

إذاً، فكل واحدة منا تستطيع أن تكون عامل بناء يشيد صرح هذه الأمة، أو معول هدم يقوض جدرانه، إنه الواقع الذي نملك اختيار دورنا فيه بتجاوب وفعالية، أو سلبية وهامشية.

واقع لا بد من الاختيار فيه، وتحديد الموقف منه ، والاختيار يعني تحمل مسؤولية النتائج دينيا أمام الله، واجتماعيا أمام الأمة

ولحظة الاختيار تحول هذه المسؤولية إلى فعل متحقق لا قدرة مجردة على الفعل أو الاختيار، ومسؤولية الإنسان أمام نفسه أو غيره مصدرها مسؤوليته أمام الله تعالى. (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) (١)

---

(١) سورة الصافات: الآية (٢٤).

وهذه المسؤولية الفردية أمام الله تمتد من الفرد إلى المجتمع إلى الأمة في نظام كلي متسق يجمع الجهود ويوحد بينها لتصب في النهاية إلى مجرى تحقيق الهدف الكلي والغاية العظمى التي خلق الإنسان من أجلها وهي العبودية لله تعالى، وإعمار هذا الكون بتحقيق الخلافة فيه ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴾ (١).

والفتاة المثقفة لها دور كبير وفعال في بناء مجتمعها، وإعادة مجد أمتها، وتحقيق خيرية هذه الأمة.. لأنها تمثل القطاع الأساسي من الرأي العام الواعي الذي يمكن أن يكون له تأثيره القوي إذا فعل واستثمر، ومن ثم فيجب أن يكون لهذه الفتاة دورها المستقبلي الفعال، وتحمل المسؤولية نفسها التي تحمل للرجل لتخليص مجتمعاتها من كل ما داخلها من شوائب فكرية، وأخلاقية، وعادات دخيلة عليه، من أجل تحقيق مستقبل مشرق لأمة الإسلام بصورته الرائعة.

ولا يخفى على أحد ما للعنصر النسائي من تأثير كبير في بناء المجتمع أو هدمه، فالمرأة هي أساس المجتمع الذي يتربى فيه رجال الأمة ونساؤها، فإن كان الإسلام ناط بالرجال مهمة إعداد الجماعة، فقد حمل المرأة مسؤولية إعداد الرجال الذين يقودون الجماعة.

ولكن من هي هذه المرأة؟ وما هي السمات المميزة لشخصيتها؟

---

(١) سورة الذاريات: الآيتان (٥٦-٥٧).

أهم ملامح شخصية الفتاة المسلمة :

١ ـ الالتزام الشرعي:

الاستجابة لأوامر الله والرضوخ لأحكامه العقدية والشرعية في المخبر والمظهر برضا وتسليم (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) [١].

٢ ـ العلم والمعرفة :

وهذا العلم على ضروب:

أ - علم ومعرفة لازمة ، وهي العلم بالعلوم الشرعية عقيدة وأحكاما، وأخلاقا، ومنهاج حياة، فيما هو واجب على كل مسلم ولا يعذر بالجهل به أحد .

ب - علم تخصصي في الفرع الذي اختارته، ويناسب ميولها وتوجهاتها على أن تتقنه وتأخذ منه القدر اللازم الذي تستطيع من خلاله القيام بدورها العملي بعد التخرج وتبوء المنصب الذي تخدم عن طريقه مجتمعها وتبني مستقبل أمتها ، فالتخصص في المجالات العلمية المتنوعة إذا تحصن صاحبها بالدين مطلب ضروري لبناء مستقبل هذه الأمة.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية(٣٦).

ج - علم بالواقع المحيط وفهمه، ومعرفة بأحوال الأمة واحتياجات المجتمع، ومتطلبات العصر وظروفه، بالقدر الذي يعين على القيام بدور فعال إيجابي، لأن هذا النمط من العلم والمعرفة يعين على التحرك الفطن السليم في نطاق الضوابط الربانية في منهاج الله والتزامه، ومن ثم القيام بالمسؤولية كاملة، فالعلم بالواقع يعين على بناء الشخصية المسلمة المؤمنة العاملة الواعية التي تعي أين هي؟ وماذا يحدث حولها؟ وما دورها؟ وما يراد بها ومنها؟

د - علم بالواجبات والحقوق على مستوى الفرد والجماعة، والتي هي الطريق الصحيح لانضباط العلاقات والاتجاه.[1]

قال تعالى : (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)[2]

٣ـ وضوح الهدف والغاية :

الهدف هو الغاية والمقصد الذي يسعى إليه المرء ليبلغه .والإنسان الذي لاهدف له، يمضي في الحياة متخبطا تتقاذفه أمواج تيارات الأفكار والمذاهب والنظريات والطروحات وغيرها ، فتراه يمضي في أي طريق له بريق ، ويعتنق أي شعار له دوي، والمسلمة الحقيقية هي تلك التي حددت هدفها منذ البداية وجعلته واضحا وضوح الغاية التي خلقت لها، وطوعت إمكاناتها، وتحركاتها وآمالها وأحلامها لتحقيق هدفها

(١) سارة بنت عبد المحسن (د)، السطحية وغياب الهدف، ٦٣-٩٣.

(٢) سورة الزمر: الآية (٩).

الأسمى، لأن المسلم إنسان غائي تتمحور حياته حول هدف أسمى، هدف رباني يحمل خصائص إيمانية ترتفع به إلى مستوى عقيدته وإيمانه، وتحقق له سعادة الدنيا، والفوز بالآخرة.

وتحقيق الهدف لا يتم إلا إذا التقت حركة الإنسان مع هدفه، فإن اختلفا، أو لم يلتقيا حدث الاضطراب وكان القلق.. وهذا يقتضي أن يكون الهدف خارج نطاق التقليد، أو الجهل، أو الشك، أو الظن أو الوهم.[1] (أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[2].

٤ ـ الوعي والهم العام:

أن تعي الفتاة المسلمة أن لها دورا حقيقيا فعالا في بناء مجتمعها، وأمتها الإسلامية، وأن هذا الدور لم يتحقق إلا إذا توفرت فيه الشروط التالية:-

أ- الوعي الصحيح لمقاصد الدين وتعاليمه.

ب - صدق النية مع الله وإخلاص العمل له.

ج - دراسة الواقع المعاصر بأبعاده النفسية، والفكرية، والعلمية والاجتماعية، والأسرية لمعرفة مواقع الخلل ومواطن القصور.

د - معرفة حقيقة الطريق الذي تسلكه.

هـ - حمل هم الأمة والارتباط بها، وأن تغيير الواقع منوط بتحمل كل فرد الجزء الذي يتناسب مع طاقاته، وإمكاناته وحدود مسؤوليته، واختصاصه، (إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)[3] .

(١) أنظر: سارة بنت عبد المحسن (د)، السطحية وغياب الهدف، ٦٣-٩٣.

(٢) سورة الملك: الآية (٢٢).

(٢) سورة الرعد: الآية (١١).

٥ ـ الوسطية والاعتدال :

في الفكر، والسلوك، والاختيار، والحكم والتعامل وفي كل شأن من شؤون الحياة لأنها السمة المميزة للإسلام ومنهاجه، وشخصية أتباعه وفكرهم.

والوسطية والاعتدال تقتضيان تجنب الغلو والتطرف في كل شيء لأن الشارع قد نهى عنه، وهو مذموم شرعا وعقلا، لكونه ينحرف بالدين عن وجهته الصحيحة، ويحمله ما ليس منه، وبالتالي يفقده أهم خصائصه ومميزاته ألا وهي: التوازن، والوسطية، والاعتدال، قال صلى الله عليه وسلم: (إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين) [١] وقال صلى الله عليه وسلم: (هلك المتنطعون)[٢].

هي تلك الشخصية التي تقف موقفا معتدلا وسطا بين الإفراط والتفريط، والغلو والتمييع.

لا تغلو في دينها وتشدد تطرفا وإفراطا...

ولا تفرط فيه تنازلا واستهتارا...

---

(١) مسند الإمام أحمد، م١/٢١٥، ٣٤٧، والنسائي في كتاب مناسك الحج باب (التقاط الحصى) ٢١٨، وابن ماجه في السنن، كتاب المناسك، باب (قدر حصى الرمي) ٦٣.

(٢) صحيح مسلم، م ٨، جـ ١٦، كتاب العلم، باب (النهي عن اتباع متشابه القرآن)، ٢٢٠.

٦ ـ الثقة بالنفس :

وبالانعتاق من الشعور بمركب النقص أمام فتن الحضارة الغربية، وقوام ذلك العزة الإيمانية التي تستعلي على البريق الخادع والإسفاف الثقافي والأخلاقي الذي تنضح به الحضارة المعاصرة.

وبعد استكمال أهم ملامح الشخصية الإسلامية ومتطلباتها ، يبقى لنا أن نحدد أهم الخطوات التي تعين على الإسهام في بناء مستقبل مشرق لخير أمة أخرجت للناس.

خطوات الدور المرتقب

١- تحديد الأولويات في وظائفها الحياتية ، أُماً ، وزوجة ، ومربية أجيال ، وعاملة فيما يناسبها من أعمال ، وعالمة فيما تحتاجه الأمة من علوم.

٢- القيام بواجب الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتعليم الجاهل ، وتذكير الغافل ، ونشر حقائق الإسلام ، والعمل على تخليصها مما شابها من أهواء شخصية ، وعصبيات قومية ، واحتكارات طائفية ، (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)[١]. قال صلى الله عليه وسلم : (الدين النصيحة) قلنا : لمن قال : (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)[٢] .

٣- إيقاظ حس المسؤولية في النفوس تجاه الله ، والدين ، والأمة ، لتحقيق التفاعل مع الحياة المعاصرة بإيجابية وبناء (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)[٣].

(١) سورة فصلت : الآية (٣٣).

(٢) صحيح مسلم م١ ، ج٢ ، كتاب الإيمان ، باب الدين النصيحة ، ص٣٦ - ص ٣٧ ، فتح الباري ، م١ ، كتاب الإيمان ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (الدين النصيحة) ٤٢ / ١٣٧ .

(٣) فتح الباري، م٢، كتاب الجمعة ١١، باب الجمعة في القري والمدن ٨٩٣/١١، مسلم، م٦، جـ ١٢، كتاب الإمارة، باب فضيلة الأمير العادل، ٢١٣ .

٤- تحقيق نموذج القدوة لبنات جنسها علما وتقوى، وثقافة ووعيا، وجدية في العمل، وتفاعلا إيجابيا في الحياة.

٥- الوعي التام بما يدور حولها من أفكار، وتيارات، ودراسة الواقع المعاصر بمشكلاته، وأحواله.

٦- الاهتمام بالنواحي الفكرية والعقلية للمرأة، والعمل على تنمية وعيها، وإبعادها عن الاهتمام بالقضايا السطحية، أو الشكليات المستهلكة.

٨- تنمية المهارات العلمية والعملية التي تعينها على أداء واجبها بوسائل معاصرة متفقة مع الأسس الشرعية.

٩- الاهتمام بتربية الناشئة تربية: عقلية، وفكرية، ونفسية صحيحة، مستمدة من المبادئ والقيم الإسلامية، للعمل على إيجاد جيل إسلامي واع مثقف متكامل مؤهل لحمل مسؤولية الأمانة.. بترسيخ الأسس العقدية الصحيحة وتنمية الوازع الديني، وقواعد الحلال والحرام، والاستعداد للآخرة.

١٠- الإسهام الفعال في الأنشطة الاجتماعية، العامة، والسياسية وفق الضوابط الإسلامية.

١١- بث الوعي الإسلامي في كل موقع توجد فيه بعلم وحكمة (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)(١).

١٢- المساهمة الفعالة في إصلاح وسائل الإعلام بالمشاركة فيها بالكتابة، والتأليف، والنشر، والترجمة، وذلك بالبعد عن السطحية، أو التناول الجزئي، والتنبيه على ما تبثه تلك الوسائل من إفساد وعبث أخلاقي، وتمييع للشخصية.

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥.

١٣- تبصير المرأة المسلمة بأهمية دورها، وخطورته في بناء المجتمع المعاصر، والنهوض بالأمة، والوقوف في وجه تيارات التغريب والتحديث والعلمنة والعولمة.

١٤- المشاركة في المؤسسات والجمعيات النسائية وتوجيهها الوجهة الصحيحة لخدمة المرأة المسلمة، وبناء المجتمع، وتحقيق الأهداف الإسلامية العامة والخاصة.

١٥- الدفع باتجاه تأليف موسوعة للمرأة المسلمة تتناول أعلام النساء المسلمات قديما وحديثا وإنجازاتهن.

١٦- العمل على تأليف موسوعة فقهية تختص بفقه الأسرة المسلمة تتناول جميع أبواب الفقه النسائي خاصة.

١٧- الدفع باتجاه رصد جميع التيارات الثقافية والمؤتمرات الدولية التي تخص قضايا المرأة ومن ثم التأليف فيها من قبل متخصصات ومتخصصين.

١٨- التواصل المعرفي والثقافي بين الداعيات عن طريق أجهزة الاتصال المتقدمة (الإنترنت)من داخل البيت، وإنشاء مواقع دعوية نسائية تسهل على نساء المسلمين المعرفة الإسلامية وهن في بيوتهن.

الفصل الثاني

الفتاة المسلمة في الفكر والخطاب الإعلامي المعاصر

محاضرة ألقيت في ملتقى الشارقة العالمي للفتيات المسلمات

في دورته الثالثة في المدة من

٣٠ محرم إلى ٧ صفر ١٤٢٣ هـ الموافق ١٣ - ٢٠ أبريل ٢٠٠٢ م

للخطاب صوره المتعددة الأشكال، المختلفة الأبعاد منها المقروء : كتابا، مجلة، صحافة، بحوثا علمية، شعرا، أو نثرا، قصة ومقالاً وغيرها كثير
ومنها المسموع، ندوة، محاضرة، لقاء، أغنية وغيرها

ومنها المشاهد : برامج تلفازية، مسلسلات، أفلام، تقارير، أخبار وهكذا ولكل خطاب منها طروحاته : الدينية، أو الثقافية، أو الأدبية، أو السياسية، أو الاجتماعية ، أو الأخلاقية وغيرها توصلها إليك مباشرة، أو بطريق غير مباشر بصورة عميقة الطرح، أو سطحية الأبعاد لكن لا يوجد قط خطاب لا هدف له، ولا مضمون فيه، ولا غاية من ولائه..فكل خطاب منها يعبر عن توجهات، ويدعو إلى فكرة وقناعات ورسم ملامح مشروع في محاولة منه لتغيير الواقع، وتبديل الأفكار، وإعادة صياغة المجتمع من جديد وفق منظومة يرى أنها الوضع السليم.

لقد تعددت الطروحات، وتنوعت الخطابات، وكثرت الدعاوى والشعارات، وقد نالت المرأة وقضايا المرأة النصيب الأوفر من ذلك كله إن لم نقل بأنها كانت الخطوة الأولى والأقوى في طريق عملية التبديل الثقافي والتغيير الاجتماعي فموضوع المرأة من أهم الموضوعات التي دار ويدور حولها النشاط الفكري للمفكرين العرب والمسلمين، بل والغربيين في العصر الحديث وقد تراوحت مواقفهم بين مبرر مدافع، وناقد موجه ومتذبذب بين هذا وذاك.

إذاً، فهناك مشروع، وطروحات، وحركة فكرية ومشروعات ثقافية وحضارية تدور حول محور معين: هو المرأة، وأوضاع المرأة، وقضايا المرأة، وتفعيل دور المرأة.

وتكمن الإشكالية في أن أصحاب الطروحات المعاصرة على مختلف توجهاتهم، وتباين مقاصدهم قد شغلوا بقضايا جزئية، أو شكلية مختلفة، أبعدتهم عن التعامل مع الواقع الذي يعيشونه، فكان أن ابتعدوا عن أصل القضية، وتحرير المسألة، وحلها حلا جذريا حقيقيا يتسم بالموضوعية والفعالية، لأنهم فصلوها عن قضايا المجتمع، وأوضاع الأمة وتراثها الديني والاجتماعي، وتعاملوا معها ككيان منفصل عن كل ما حوله.

فهل أثمرت هذه الحركات الفكرية والثقافية بطروحاتها المختلفة ووسائلها المتنوعة.. تقدما حقيقيا طيلة السنوات الماضية.

أو أنها مازالت تجتر الإشكاليات نفسها، مع تغيير في المسميات؟ وإعادة طرح الأسئلة نفسها حول التحديث، والهوية، والتقدم، والنهضة؟؟ والصحوة، والتغييب، والشهود، والإسهام الفعال، والمشاركة في صنع الحاضر وبناء المستقبل.

ولنتعرف على حقيقة الوضع نحتاج إلى وقفات تأملية خاطفة مع الطروحات المختلفة للخطاب المعاصر.

١- الخطاب التقدمي، بصوتيه النسائي والرجالي:

الملحوظة العامة على الدراسات والكتابات المعاصرة عند حديثها عن المرأة أنها تنطلق من أرضيته بعيدة عن الواقع الذي تتناوله، وتحمل في ذات الوقت تمردا عليه، وانتقادا له، بل رفضه من خلال تلميحات، أو تصريحات تشير إلى أن السبب الرئيس وراء هذا الوضع المتردي للمرأة هو الإسلام الذي رسخ مجموعة من العادات والأعراف

والأفكار التي أسهمت إلى حد كبير في الإساءة إلى المرأة، وتغييبها عن الواقع الحضاري للأمة.

فهذه الكتابات والطروحات نظرت إلى الإسلام نظرة سلبية وبالتالي فقد دعت إلى اتخاذ موقف رسمي حاسم من هذه القضية بأبعادها الاجتماعية والشرعية، إلا أن موقفها من الأحكام الشرعية لم يكن على صورة واحدة فالفئة المغالية منها دعت صراحة إلى فصل التعاليم الدينية عن واقع الحياة، وتحويله إلى مسألة خاصة بين الإنسان وربه كما هو الحال بالنسبة للديانات الأخرى وأن الطريق الأمثل هو: التحرر من القيود النفسية والفكرية والشرعية كلها بصورة سافرة فيها جرأة على الدين وخروج على المألوف، ومصادمة للواقع ومحاولة جادة لتغريب المجتمع وتحديثه.

أما الفئة المعتدلة منها وهي الفئة التي مازالت مرتبطة بالإسلام عاطفيا فهي وإن تعرضت للواقع بالنقد المباشر تارة والمستتر تارة أخرى إلا أنها تتفق مع الفئة الأولى بضرورة التحرر من قيود الواقع الحالي وتغيير الوضع العام، ولكن من خلال إعادة قراءة النصوص الشرعية، وفهمها فهما جديدا يتناسب مع الحضارة المعاصرة ، وإخضاعها للتعددية في قراءة النص الديني وفهمه، احتراما للحرية العقلية والفكر المتفتح وكسر القيود النفسية والعقلية التي مورست عبر أجيال تحت وطأة ما يسمى ب (قدسية النص) أو (سيطرة النص).

وذلك بالدعوة إلى: تجديد الفكر الديني نقد الفكر الديني ، تجديد الإسلام في محاولة منها للوصول إلى (إسلام معاصر) يتناسب مع المستجدات المحيطة بالأمة، ويتأقلم مع الطروحات الحديثة في ظل نظام العولمة والانفتاح.

وهذا لا طريق له إلا بتحديث الفكر الإسلامي، وآلياته ومنهاجه.. وذلك بالاستعانة بكثير من العناصر منها: العقلانية والتأريخية، والتعددية، وجدلية الحاضر والماضي، والتعامل مع الماضي بمعيار منهجي من الحاضر، بالإضافة إلى العلوم الاجتماعية والإنسانية ونظرية الثقافة ونظرية النص.

وممارسة الاجتهاد الفكري الإسلامي ولكن من خلال منظومة فكرية غربية لا يشترط فيها توفر المرجعية الشرعية أو النظام المعرفي الإسلامي بأدواته ومنهاجه وآلياته..

كان أن خرجت علينا هذه الفئة باجتهادات في فهم الإسلام وأحكامه الشرعية بعيدة البعد كله عن مقاصد الدين وأصوله.

٢- وفي مقابل تلك الفئة تأتينا الفئة التي تبنت المشروع الإسلامي:

وألزمته أسلوبا لإنقاذ المرأة والمجتمع والمحافظة على هيئته الإسلامية، وتقلدت مهمة تولي طروحات الحوار بما فيها من الرد، أو الدفاع وهؤلاء بدورهم انقسموا إلى فئات جمعهم حبهم للإسلام وحماسهم لقضايا الأمة وتوليهم منبر الخطاب.

فمنهم أصحاب التخصصات العلمية والأدبية، الذين نالوا قسطا من الثقافة الإسلامية العامة، وقدرا من العلوم الشرعية الخاصة والكثير الكثير من الحماس والعاطفة الإسلامية والرغبة في نصرة الدين وانتصاره مما جعلهم يتركون مواقعهم الأصلية وثغورهم الحساسة ويتحولون إلى وعاظ ومفتين ومرشدين، فاتسمت طروحاتهم بردود الفعل الوقتية والطروحات الانفعالية التبريرية، ومحاولة الدفاع عن قضايا المرأة برسم

الصور المظلمة للحضارة المعاصرة وعرض سلبياتها وتشجيع العقلية الذرائعية تسويغا وتبريرا.

وكأن الإسلام لا يظهر نوره ولا تدرك قيمته إلا بمقارنته بالوجه السيء من حضارة اليوم.. وفي هذا إجحاف للإسلام وإساءة له، بالإضافة إلى أن هذا النوع من الخطاب وقتي التأثير ضعيف التقبل يؤصل روح التخاذل وجمود العقلية، والانهزامية النفسية، والرضوخ للواقع، واستمرارية الناس في التعامل مع واقع هجين بعيد عن حكم الإسلام المتكامل وروح الحضارة المعاصرة التي تحاصره من كل مكان.

٣- الخطاب العلمي:

وفئة أخرى اختارت المشروع العلمي والطروحات الأصولية العميقة وكأنها تتعامل مع مجتمع قوامه علماء ومفكرون وباحثون ومتخصصون في العلوم الشرعية.. فكأن تعاملها مع المجتمع من خلال أبراج تحصنت فيها بفتاوى فقهية واجتهادات شرعية لعلماء السلف دون محاولة منها لإسقاطها على الواقع المعاصر وربطها به في محاولة لتجميد امرأة اليوم في إطار فتاوى وأحكام تعاملت مع مجتمع يفصلنا عنه قرون طويلة متناسية أن الإسلام بناء متكامل روعي فيه الاستمرارية والدوام والانسجام مع الفطرة الإنسانية والاحتياجات البشرية المتجددة وفي الوقت نفسه تلازمه مع الطبيعة البشرية، وطبيعة خلق الكون ومقاصد الشارع فهو نمط خاص متميز ولا يقاس بما قبله ولا بما بعده، لا يضيره مخالفة الناس له، ولا يعيبه معاكستهم الفكرية والثقافية له، وهذا كله يمنحه حركة تلازمية ونبضاً مستمراً بعيداً عن الجمود والتصلب أو الذوبان والاضمحلال.

ولكن للأسف الشديد فإن الخطاب الإسلامي المعاصر لم يلتفت إلى هذه الخاصية والخصوصية التي تميزت بها شريعة الإسلام عقيدة وأحكاما .. وإنما اتجه إلى الأسلوب الخطابي واستثارة العواطف وإثارة الرأي العام وتأجيج نار الحماس والاندفاع .

طروحات مختلفة إلى درجة التضاد والتنافر تضع المرأة أمام الخيار الصعب وهو الانشطار الثقافي إما أن تختار الدين وتنسحب من الحياة المعاصرة أو تختار الدنيا وتدير ظهرها للدين لتنسلخ منه قلبا وقالبا .

معادلة صعبة ليست من الإسلام في شيء ولا يمت لها التقدم بصلة لأنها تؤدي إلى زعزعة المجتمع وتفريقه إلى طوائف وشيع يعادي بعضها بعضا ويحاربه أو يجافيه ويقاطعه وهذا ما حدث فعلا فقد شغلت كل فئة منا بالأخرى نقدا وتجريحا واتهاما وتركت عامة الناس يغرقون في دوامة تيارات فكرية وثقافية تحاصرهم من كل مكان .

وهذا لا يعني عدم وجود طروحات ناضجة وواعية تسعى إلى تحقيق المعادلة الصحيحة في العمل على إصلاح المجتمع وتنقيته من رواسب عادات وأفكار دخيلة عليه وفق مفهومات إسلامية صحيحة تعيد بناء العقلية الإسلامية المعاصرة وتفعيل دورها في تحقيق مجتمع إسلامي متكامل يتعامل مع الواقع بموضوعية وتأخذ المرأة فيه دورها الحقيقي الفعال .

لكنها أصوات قليلة مبعثرة يغيبها في كثير من الأحيان ضجيج الأصوات الأخرى ويضيع جهودها عدم تفهم المجتمع لها .

إذن فنحن بحاجة فعلية إلى أن نتوقف وقفة متأنية نتأمل فيها الواقع المعاصر بطروحاته المختلفة وندرسها دراسة جادة متعمقة واقعية، نحدد من خلالها أبعاد المشكلة، وأسبابها ونعالجها من أصولها ونحرر كثيرا من المفهومات التي اختلطت معانيها وتداخلت حدودها حتى بات من الصعب معرفة حقيقتها أو الفصل بين مقاصدها، نحن بحاجة فعلية إلى أن نتعرف على واقعنا ومراجعته والتعامل معه كما هو لا كما نتصوره أو نتخيله أو يصور لنا واقعنا كما هو بأبعاده المختلفة سلبيها وإيجابيها واحتياجاته المتباينة وظروفه المحيطة، فنحن جزء من عالم متداخل لا نستطيع أن نعيش بمعزل عنه، وفي الوقت نفسه لا ينبغي لنا أن نذوب فيه، فلنا قيمنا الخاصة وذاتيتنا المتفردة وشخصيتنا الإسلامية المتميزة بوعيها وانتمائها وانفتاحها، نحن في حاجة إلى إعادة البناء الفكري والثقافي في ساحتنا والتخلص من المسخ الثقافي الذي نعيشه.

لنحدد فعلا ماذا نريد؟ وماذا يراد منا؟ في ضوء واقعنا المعاصر واحتياجاتنا الفعلية ومقاصد ديننا، وإلاّ سنبقى ندور في فلك طروحات متضاربة وواقع مشوش ومجتمع منشطر على ذاته يطارد سراباً لا يلحق به ويردد صوت شعارات لا يدرك حقيقة مضامينها أو يعي أهدافها وبعد مداها، فنغيب عن الإسهام في عملية الشهود الحضاري والتفاعل معه، لأن الأمة التي تتخلى عن هويتها ينقضي أجلها وتمحى من ذاكرة التاريخ.

الفصل الثالث

الفتاة السعودية أمام التحديات المستقبلية

محاضرة ألقيت ضمن مهرجان المدينة المنورة الثالث

المدة من

٢٨ صفر إلى ١٤ ربيع الثاني ١٤٢١ هـ الموافق ١ يونيو إلى ١٥ يونيو ٢٠٠٠ م

إن الواقع الذي نعيشه في ظل المتغيرات الداخلية، والخارجية، والتحولات السريعة في عالمنا اليوم بمعطياته المختلفة، وساحاته المتنوعة، ومده الفكري والثقافي، والتقاني الذي لا يتوقف، وفي ظل توجه عالمي لتدويل الحوار، وتوحيد الرؤية، وتوجيه الفكر، إلى القبول بطروحات عولمة الفكر، والثقافة، والاقتصاد، تحت مظلة الضغوط الدولية، واستغلال لهيئة الأمم المتحدة، ومنظمة اليونسكو، لفرض الرؤى والأنظمة الغربية على الدول الإسلامية بحجة تطبيق قوانين وأنظمة حقوق الإنسان، وتحقيق العدالة والمساواة والحرية بين الشعوب وعلى الأخص ما يتعلق منها بالمرأة ومساواتها بالرجل، وتنظيم الأسرة وغيرها .

وقد اتسمت الطروحات الدولية في الآونة الأخيرة بتركيزها على المرأة في العالم الإسلامي أو ما يطلق عليه (الدول النامية)، وتكثيف المؤتمرات، والندوات، والطروحات الإعلامية التي تناقش موضوعات وقضايا تهتم بشؤون المرأة بشكل غير عادي.. وبصورة يمكن من خلالها إحداث تغييرات جذرية واضحة في واقع المرأة والأسرة، والمجتمع الإسلامي، بممارسة الضغوط السياسية والإعلامية، والمتابعة الدقيقة الراصدة من المنظمات الدولية بلجانها النشطة والتي تمكنت بالفعل من تحقيق اختراقات جد خطيرة على مستوى الفرد والمجتمع والدولة ؛ بل والأمة

في مقابل ذلك التوجه الدولي العولمي كله، نجد أن الدول الإسلامية بشكل عام تعيش حالة من الإرباك العام، والصراع الاجتماعي المتنامي، بين الطروحات البراقة القادمة من الغرب، وأوضاعها الداخلية غير المستقرة، وما تعانيه أجيالها الشابة من

تذبذب، وتناقض واختلال موازين في مفهوماتها، وقيمها، وثوابتها، مما شكل جواً مناسباً للاختراقات الثقافية والفكرية والحضارية التي تجتهد في تنشئة أجيال لا يربطها بدينها إلا الاسم فقط، ولا يجمعها بوطنها إلا جواز السفر أو الهوية الشخصية، أما مادون ذلك فهو مغرب، مذبذب، هجين .

والواقع أن هذه الاختراقات متعددة الوجوه بمن يقف خلفها من المنظرين والمطبقين والممولين، لتضع الإنسان المسلم أمام تحد حضاري كبير بين المحافظة على هويته الذاتية، وانتمائه الإسلامي، أو الذوبان الكلي في خضم تيارات العولمة التغريبية

ولمعرفة حقيقة هذه التحديات، وأبعادها الخطيرة على مستقبل الأمة . والتي لم تسلم منها بقعة من بقاع الأرض، فلا بد لنا من التعرض لها بشيء من التفصيل الذي يلقي الضوء على واقعها وطبيعة عملها وحقيقة أهدافها .

ولكن قبل ذلك يقابلنا تساؤل حول من هي الفئة الاجتماعية المستهدفة في هذا الأمر ؟ ولماذا ؟

التقارير الواقعية المشاهدة، والعلمية المعلنة، تؤكد أن الفئة المستهدفة هم: الشباب [1]: الفتيان والفتيات بشكل عام، والمرأة بشكل أخص .

---

(١) اختلف في تحديد مرحلة الشباب من ١٣ - ٣٠، ١٥ - ٣٠، ١٥ - ٢٥. وذهب البعض إلى عدم الاقتصار على المعيار الزمني لاعتماده على المفهوم البيولوجي : النضج الجسدي والعقلي. فيذهب إلى اعتماد النضج والتكامل الإجتماعي للشخصية . بينما يعتمد الإسلام البلوغ في تحديد الأمر .

واختيار هذه الفئة بالذات له أهدافه المقصودة نلخصها فيما يلي :

١- الشباب هم عماد المجتمعات .. والمصدر الرئيس لنهضتها ومحط آمالها .

٢- الشباب هم قادة المستقبل الذين يمكن أن يكون لهم التأثير الفعال في المجتمع، وتغييره .

٣- الشباب هم الأكثر تقبلاً للتطور والتغيير .

٤- مرحلة الشباب هي أهم مرحلة وأخطرها لأنها تتصل بمرحلة الرشد مباشرة ومن خلالها تتشكل ملامح الشخصية بميولها واتجاهاتها .

٥- ما يتميز به الشباب من القوة والاندفاع والحماس في تبنيه للأفكار وتطبيقها .

وتبقى الفتيات هن المنطلق الأكثر فعالية في عملية الاختراق الثقافي والتبديل الحضاري والتغيير الاجتماعي .

إذاً، فاختيار هذه المرحلة وهذه الفئة بالذات له مبرراته القوية والمنطقية الموضوعية.

أنتقل الآن للحديث عن صور بعض التحديات .

تحديات خارجية

أولاً - الاختراق الثقافي :

تسلل ثقافة ما إلى قلب ثقافة أخرى متوغلة فيها بطرق متعددة، وسبل متنوعة، مباشرة وغير مباشرة إلي أن تصل إلى درجة الاكتساح الكلي للثقافة الأصيلة والحلول محلها بحضورها الطاغي، وجاذبية طروحاتها، وشمولية معطياتها شكلاً ومضموناً، فكراً وأسلوب حياة . وإن لم تنطو في حقيقتها على ما يستحق.

ثانياً - التبديل الثقافي :

يقوم على أساس احتلال الثقافة الغازية المخترقة محل الثقافة الأصيلة، وتتم عملية التبديل باستخدام سياسة التفريغ والملء، بمعنى تفريغ الإنسان (الأجيال) من تراثها الثقافي والحضاري وملئها بالبدائل المقدمة بطريقة تدريجية مرحلية منوعة تترسخ في النفس والفكر والعقل حتى يتشبع الإنسان بها وتصبح جزءاً من تركيبته : النفسية والعقلية والفكرية، ومع مرور الأيام يعتقد بأنها نابعة من ذاته، ونتاج قناعاته الشخصية، وليست مفروضة عليه من خارجه، ويحولها إلى مواقف عملية يتبنى الدفاع عن طروحاتها .

وعملية التبديل الثقافي لا تكتفي بالكليات ولكن يمتد أثرها إلى الجزئيات في زحف توسعي مستمر لا يوقفه شيء ، يعمل على تفريغ المفهومات الراسخة، والقيم الثابتة من محتوياتها الأصيلة وملئها بمحتويات جديدة تناسب التوجه العالمي المسوق على نطاق جماهيري. وإن احتفظت بمسمياتها أو شكلها القديم .

ثالثاً - إعادة تشكيل البنية الفكرية، والقيمية :

تحت وطأة عمليات الاختراق الثقافي، وتطبيقات سياسة التفريغ والملء، والبث اليومي المتزايد للأفكار والقيم، والنماذج، والنظم وغيرها في مختلف جوانب الحياة المعاصرة، يحدث إرباك للوعي العام لدى الأجيال، وتبدأ عمليات التحولات الجذرية للبنية الفكرية، وإعادة صياغة القيم بمفهوماتها الجديدة، تتنامى بشكل سريع يستحوذ على إدراك المتلقين له تحت وطأة الضغط الحضاري، ومعطيات الثقافة المهيمنة . فتتبدل البنية الفكرية والمفهومات القيمية لتأخذ محتوياتها الجديدة، وتتم عملية التغيير الكلية في ضوء فكر جديد، وقيم مختلفة .

وقد ظهرت آثار ذلك كله واضحة على : اللغة، طرق التفكير، الذوق العام، أسلوب الحياة، الأسس الأخلاقية، المفهومات الدينية، الولاء، التوجه العام .. وغيرها

وهذه الصور من التحديات تطبق من خلال آليات متنوعة يأتي في مقدمتها :

١ - العولمة :

وهي اتجاه الحركة الحضارية نحو سيادة نظام واحد تقوده في الغالب قوة واحدة. في توجه قوي جارف يجتاح الساحة العالمية بميادينها المختلفة، في محاولة لتعميم نموذج ثقافي وأخلاقي ونظام اقتصادي موحد يعمل على إلغاء الخصوصية الحضارية، والهوية الذاتية. والمفهومات التراثية بقيمها الثقافية، وأنماطها السلوكية الخاصة بأفراد المجتمعات الإنسانية المختلفة، واكتساحها بالترويج للثقافة الغازية مستخدمة في ذلك وسائل التقنية الحديثة لتأصيل الأبعاد الثقافية المطلوبة التي تعمد إلى تمييع المجتمعات وإذابتها في كيان واحد يهمش ثقافتها الذاتية لحساب ثقافة القطب الواحد ..

وتهدف العولمة إلى : زرع الأفكار والقيم النفسية والثقافية للقوى المسيطرة في وعي الآخرين، واختراق المجتمعات ثقافياً، مع إسقاط عناصر الممانعة والمقاومة والتحصين . أي صياغة قيم وعادات جديدة تؤسس لهوية ثقافية وحضارية أخرى لهذه المجتمعات مهدرة هويتها الحضارية، فارضة بصورة قسرية أفكار وسلوكيات وأنماط معيشة وثقافة الغالب، من أجل تأصيل قاعدة الاستتباع الحضاري تحت إدارة سياسية واقتصادية لمركز القوة الوحيدة في العالم.

٢- الإعلام :

بوسائله المختلفة : مرئية، ومسموعة، ومقروءة، يشكل تحدياً خطيراً على الثوابت الثقافية الأصيلة للشعوب ويعمل على اختراقها بشكل قوي مركز، يسعى إلى تحطيمها ومن ثم إعادة تشكيل البنية الفكرية والرؤية الحياتية، وفق منظومة متماسكة تقوم بعملية تسطيح وتبديل خطيرة . من خلال تقديم الرموز؛ بل وصناعتها وفرضها وفق نمط غربي بحت تحت سيطرة سلطة الصورة، بنظامها السمعي البصري الفعال، الذي يحول الإنسان إلى مستهلك للثقافة الغربية وعلى الأخص الأمريكية منها . بما فيها من سلبيات وانحلال يراد تعميمها على شعوب العالم بوسائل الإثارة، والتسلية، والفن، لزرع قيم وأفكار جديدة تعمل على تبديل الهوية الإسلامية الأصيلة، وبناء هوية جديدة مستمده من ثقافة عصر العولمة ذات القطب الواحد .

فالمد الإعلامي المعاصر لا تتحقق فيه عوامل التكافؤ فمع وجود ما يربو على (٥٠٠) قمر صناعي غربي موجهة لبث ما عند الغرب من فكر وثقافة وقيم أخلاقية يراد تعميمها، نجد أن المواد الإعلامية المعروضة في إعلامنا العربي الإسلامي تصل نسبة

المواد الغربية والأمريكية منها بشكل خاص إلى ٥٩٪ وهي مواد لا تخلو قط من العمل على هز ثوابتنا، وتشويه معالم ديننا، والمساس بعقيدتنا والطعن بموروثاتنا الثقافية، والحضارية، والشرعية، في مقابل تمجيد الرموز والنماذج الغربية المراد تعميمها وبسط نفوذها الأخلاقي والسلوكي والقيمي ونمطها المعيشي.

الأمر الذي كان له أكبر الأثر في إحداث تغييرات جذرية وواضحة في بنية الأجيال الناشئة فكرياً، وأخلاقياً، ودينياً، وتمييع ارتباطها بربها، ودينها، وأمتها، وولائها لهما وتأصيل تبعيتها الفكرية، والثقافية للحضارة الغربية شكلاً ومضموناً.

٣- هيئة الأمم المتحدة، ومنظمة اليونسكو:

هيئة الأمم المتحدة وما ينضوي تحتها من منظمات دولية، وهيئات عالمية، كمنظمة اليونسكو، ومنظمة حقوق الإنسان، وغيرها من المنظمات والهيئات الدولية التي تعمل بشكل منظم منتظم في إقامة المؤتمرات والندوات وممارسة الضغوط السياسية على الدول لتغيير أنظمتها الداخلية، وقوانينها المستمده من الشريعة الإسلامية وعلى الأخص فيما يتعلق بقانون الأحوال الشخصية، بحجة إعطاء المرأة حقوقها السياسية والمدنية، والاجتماعية، تحت شعار المساواة، والحرية، والعدالة.

والذي تقدمه برامج منظمة اليونسكو، التي تختار دائماً عواصم الدول العربية والإسلامية لتكون منطلقاً لأعمالها، ومسرحاً لمؤتمراتها، وعرض طروحاتها تمهيداً لتطبيقها تحت وطأة الضغوط الدولية، من أجل إبعاد الإسلام عن حكم حياة المسلمين، وإضعاف تمسك المسلمين بدينهم، وتعميم النموذج الغربي للمرأة، والأسرة ونمط الحياة.

هذا ما يتعلق بالتحديات الخارجية التي بدأت تيمم وجهها تجاه فتاة الجزيرة العربية في محاولات هادفة وجادة وعميقة، لاحتواء فتاة المملكة في إصرار عجيب على اختراق ما يطلقون عليه (آخر معقل من معاقل الإسلام) تمهيداً لتحطيمه بيد أبنائه بعد تغريب عقولهم، وتبديل مفهوماتهم، وتحديث قيمهم.

ولكن هذا لا يعني عدم وجود تحديات داخلية ساعد وجودها على تهيئة الجو المناسب لاقتحام تلك التحديات الخارجية وتهيأة الأرضية المناسبة لها لغرس بذورها التي بدأت تتنامى بشكل مخيف، أوجزها في النقاط التالية :

تحديات داخلية

١- تحكم الأعراف والعادات بحياة المجتمع:

تحكم الأعراف والعادات بحياة المجتمع حتى وإن خالفت تلك الأعراف والعادات أحكام الشريعة، ومبادئ الإسلام ؛ بل وتقديمها في كثير من الأحيان على أحكام الشريعة نفسها، مما ورث روح السلبية والانهزامية في نفوس كثير من الفتيات، وهيأهن لتلقي كل ما تأتي به الثقافات الأخرى من طروحات وإن عارضت الدين، على أمل أن تجد فيها الفتاة نفسها التي ضيعتها العادات والأعراف حينما همشت دورها، وقللت من مكانتها، ونسبت ذلك زوراً للدين، ومن ذلك : التعسف في استخدام حق القوامة، حيث فهمت القوامة عند كثير من الناس بأنها تعني التحكم والتسلط والتجبر وإلغاء كيان المرأة وعقلها وروحها، وبالتالي التفريق في المعاملة بينها وبين أخيها الذكر، والذي يمنح له الحق للتحكم فيها وإن كان يصغرها بسنوات كثيرة وربما كان طفلاً . فبينما يعطى هو الرعاية والعناية والحقوق، يضيق الخناق عليها و تغرس في نفسها بذور الذلة والمسكنة والضعف أمام الرجل، وفي هذا تحطيم كبير لها، وقضاء على فاعليتها، مما يؤدي في أحيان كثيرة إلى انجذابها إلى تلك الدعوات التحريرية والتغريبية الإفسادية التي تتسلل إليها عبر منافذ حضارية كثيرة .

٢- التعليم :

إن التعليم الذي يقدم للفتاة حالياً لا يزيد عن كونه وسيلة للحصول على

الشهادة تمهيداً للوظيفة دون أن يكون له ذلك الأثر الحقيقي الفعال في تنمية العقل، وتوجيه الفكر، وبناء الشخصية، وتحقيق الحصانة الشرعية والثقافية، التي تؤهل الفتاة لخوض غمار الحياة بثقة وقوة، وقدرة على التغيير الحضاري الفعال . فالتعليم وللأسف يجعل الفتاة تبدأ الطريق المجهول بجهل، وقد تحولت الشهادات فيه إلى مكافأة للحفظ، وإجازة للنسيان من بعده .

٣-التغييب العقلي والنفسي عن معرفة حقيقة مجريات الأمور:

التغييب العقلي والنفسي عن معرفة حقيقة مجريات الأمور وأبعاد الواقع، وذلك بسبب الانشغال بظواهر الأشياء، وصغائر الأمور التي تضخم، وتكبر، وتحول إلى قضايا تشغل الرأي العام، وتستحوذ على اهتمام الفتيات وإن كانت في حقيقتها لا تستحق ذلك كله .

ولكن كيف يمكن مواجهة هذه التحديات ؟؟؟

لكي يواجه الإنسان التحديات التي تقابله، وتعترض طريقه فلا بد من أن يعي أولاً بأن هنالك تحديات ويدرك وجودها، ويشعر بخطرها، ذلك أن الإدراك والوعي، والإحساس بالخطر يولد لدى الإنسان الرغبة في التحدي والمواجهة حفاظاً على ذاته.. ومن ثم يبدأ بالبحث عن الوسائل الناجعة، والطرق المناسبة للتصدي لما يعترضه من تحديات، أما الوعي المجرد، والإدراك وحده فليس كافياً لأن المرء قد يعتاد على وجود مثل هذه التحديات حتى تصبح جزءاً من حياته، ومن ثم يفقد تحفزه ضدها، ويكتفي في مواجهتها بالحديث عنها، أو حولها دون أن يتخذ خطوة فعلية واحدة في عملية المواجهة والتصدي.. وهنا يكمن الخطر الحقيقي.

فسلبية الموقف تعني الاستسلام العقلي والانهزامية الكاملة أمام هذا الخطر وعندها، تبدأ عملية الانتحار الواعي، وفقدان الهوية الاختياري، وبالتالي الانتهاء حضارياً.

ولعل أبرز الخطوات التي ينبغي على الفتاة السعودية أن تخطوها في طريق مواجهة التحديات الحضارية والتصدي لها .

التحصين الثقافي:

إن تحقيق الحصانة الثقافية عملية ذات أوجه متعددة، ومناح مختلفة، ومتطلبات غاية في الدقة والعمق، لأنها عملية تستوعب الإنسان كله : عقله، وفكره، وروحه،

وجسده، أو بمعنى آخر، كيانه الروحي، ووعائه الجسدي، وهي عملية متكاملة مترابطة لا تصلح فيها التجزئة، ولا يناسبها الترقيع .. فأي خلل فيها، أو ثغرة في بنائها تفتح باباً للاختراق، فيبدأ الخطر بالتسلل.

ومن أهم الخطوات في عملية التحصين الثقافي هي :

أولاً : تحديد الهدف ووضوح الغاية :

فالهدف .. هو الغاية والمقصد الذي يسعى المرء ليبلغه .. والإنسان الذي ليس له هدف يسعى لتحقيقه، ولا غاية يعمل لبلوغها، تتخبطه دروب الحياة، وتتقاذفه أمواجها، ويجذبه أي طريق يعرض له، ويستخفه أي نداء يسمعه، تسير خطواته في متاهات متشابكة، لا تنتهي به إلى شيء .

بخلاف الإنسان الذي حدد هدفه منذ البداية، وعرف غايته وسعى جاهداً لبلوغها، وتحقيق ذاته ووجوده من خلالها .. والمسلم حقيقة أهدافه محددة، وغاياته واضحة، وحركاته تدور كلها في فلكها، لأن تحقيق الهدف لا يتم إلا إذا التقت حركة الإنسان بهدفه . فالمسلم إنسان غائي تتمحور حياته حول هدف أسمى وغاية عظمى، هدف رباني يتميز بخصائص إيمانية سامية ترتفع به إلى مستوى عقيدته وإيمانه (أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [1].

---

(١) سورة الملك : الآية ٢٢ .

ثانياً :- الحصانة الشرعية

وتقوم على أساس العلم بالعلوم الشرعية : عقيدة، وأحكاماً، وأخلاقاً ومنهاج حياة في المسائل التي ينبغي على كل مسلم معرفتها، ولا يعذر بالجهل بها أحد .

١- الأسس العقدية :

وتتضمن معرفة أسس الإيمان بمفهوماتها الحقيقة ومتطلباتها العملية، من علم وعمل، مبني على أساس إفراد الله بالربوبية، وإخلاص التوحيد له، وتحقيق العبودية التامة الكاملة بمعانيها الشاملة المبنية على قاعدة أن العبودية المطلقة لله وحده محبة، وخشية وخوفاً، وخضوعاً وطاعة، ورجاء ورغبةً، وتوكلاً، ومراقبة ومحاسبة (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) [١] .

٢- الأحكام الشرعية :

متضمنة أحكام العبادات والمعاملات، والأخلاق، والحلال والحرام، والولاء والبراء، وغيرها من الأحكام الشرعية والتنظيمية التي شرعها الله لخلقه والتي لا تستقيم حياة الناس والمجتمعات إلا بها تطبيقاً وعملاً، وأحكاماً، حقوقاً وواجبات .

فمعرفة الفتاة المسلمة بالأسس الشرعية تعينها على تحقيق الحصانة الشرعية التي تستطيع من خلالها تمييز الحق من الباطل، والصواب من الخطأ،

---

(١) سورة الأنعام : الآيات ١٦٢ - ١٦٣ .

والإلهي من البشري، فلا تستخفها شعارات وافدة، ولا تظلمها عادات بائدة. فالتجزئة والتبعيض للدين، يضعف الحصانة، ويفتح ثغرات للمتسللين .

ثالثاً :- الحصانة العلمية :

بالتخصص في المجالات العلمية المختلفة، كل وما يتناسب مع ميولها وقدراتها، وتوجهاتها شريطة أن تتقن هذا العلم، وتأخذ منه القدر اللازم المعين على القيام بدور فعال في بناء المجتمع والأمة، فالتخصصات العلمية المختلفة إن تحصنت صاحبتها بالدين مطلب ضروري لبناء مستقبل هذه الأمة، فنحن في عصر ركيزته الأولى هي العلم، وتوظيف العلم في خدمة المجتمع، والحفاظ على كيانه الخاص، وشخصيته المستقلة في ظل عصر العولمة . ولا يتحقق هذا التوظيف الصحيح للعلم إلا بإتقانه، بمعنى إتقان صناعة المعرفة، وتنظيمها، وتعلم كيفية التعامل معها في خضم هذا التدفق المعرفي الهائل .
لا بالتفكير المجرد في الحصول على الشهادة من أجل الوظيفة، فهذا فهم قد كلف الأمة الإسلامية ثمناً باهظاً من عزتها وكرامتها واستقلالها، وحصرها في نطاق المستهلك التابع لما عند الآخرين .

رابعاً :- الحصانة المعرفية :

ويقصد بها الإحاطة بعلم الواقع، ومعرفة أحوال الأمة، واحتياجات المجتمع ومجريات الأمور، ومتطلبات العصر وظروفه، وما يستجد من طروحات فكرية، وثقافية، وسياسية، واقتصادية، تعين الفتاة على تكوين تصور شمولي

صحيح لواقع العصر، وواقع أمتها، ومجتمعها، وواقعها الشخصي، ذلك أن هذا النمط من المعرفة يعين على التحرك السليم والوعي بحقيقة ما يدور، مما يسهم في عملية بناء الشخصية القوية المؤمنة الواعية الفاعلة، التي تعي أين هي . وتعرف ما يدور حولها . وتدرك ما يراد بها ومنها .

والخلاصة

إن تحقيق الوجود الحضاري، والتصدي للتحديات، وتحقيق خيرية هذه الأمة، مرتبط بمدى تفعيلنا للحصانة الثقافية بأبعادها الشرعية، والمعرفية، والعلمية، والعملية، والأخلاقية، في ظل فهم شمولي كلي للإسلام، يحفظ لنا هويتنا الذاتية، وخصوصيتنا الحضارية، وفي الوقت نفسه يفتح لنا أبواباً حضارية مشرقة تتحقق من خلالها أمانة الاستخلاف على الأرض، وإعمارها وفق الغاية العظمى التي خلقنا لأجلها (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ والتي يعين تمثلها واستحضارها في كل لحظة على تحقيق الموازنة الصعبة بين تحقيق الذات، والمحافظة على الهوية، والسمو الروحي والممارسة العملية لبناء حضارة إنسانية راقية تتحقق بها متطلبات الحياة بأبعادها المختلفة، وتنفتح بها على العالم متفاعلة مع الحضارات، مستوعبة للفكر، مميزة بين ما يناسبها، وما لا يناسبها

(١) سورة الذاريات : الآيتان (٥٦ – ٥٧) .

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة



رغبة في خدمة الإسلام وتأصيل البحوث العلمية النافعة والجادة في مجالات الثقافة المختلفة ومجال الدراسات الإسلامية على وجه الخصوص.

ورغبة في الإسهام في عملية الارتقاء الفكري والنفسي لهذه الأمة، والعمل على تفعيل دورها في عملية البناء الحضاري، مع المحافظة على استقلاليتها الشخصية، وهويتها الإسلامية المتميزة.

كان إنشاء مؤسسة علمية مستقلة، غير هادفة للربح، تعمل على ترسيخ الهوية الإسلامية وركائزها الإيمانية في نفوس أبناء أمتنا لتحقق لهم الصفاء والنقاء وقوة الانتماء، من خلال حركة جادة تساعد في بعث الوعي الإسلامي، وإنجاز البحوث والدراسات وفق سليم العقيدة وقويم المنهاج.

ولتحقيق ذلك كان هذا المركز الخيري "مركز الأمير عبدالمحسن بن جلوي للبحوث والدراسات الإسلامية".

هاتف: ٥٧٧٦٠١٨-٦-٩٧١، فاكس: ٥٧٧٦٥٥٧-٦-٩٧١
ص.ب: ٤١١١٦ - الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
Tel: +971-6-5776018, Fax: +971-6-5776557
P.O.Box: 41116 - Sharjah - U.A.E. - webpage: www.jalawicenter.com

رقم الإيداع : ١٤٢٧/٥٦٧٦
ردمك : ٣ - ٦٢٩ - ٥٦ - ٩٩٦٠